

أضواء البيان

@ 86 الاستثناء وهل هو خاص بإبراهيم لأبيه أم لماذا ؟ .

وقد بينه تعالى في موضع آخر في قوله تعالى : { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَاهَا إِيَّاهُ فَلَمَّ تَيَسَّرَ لَهَا أَن تَلَّهَ أُزَّهٌ وَعَدُوٌّ وَلِلَّهِ تَبِيرٌ } مِنْهُ إِنْ إِبْرَاهِيمَ لِأَوْسَاهُ حَلِيمٌ { تلك الموعدة التي كانت له عليه في بادئ دعوته حينما قال له أبوه { أَرَأَيْتَ إِنْ تَبَدَّلَ مَكَانَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَبَدَّلَ اللَّهُ بِمَكَانِهِمْ إِنْ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ إِلَّا مَنْ فِي الْوَدَعِ } فكان قد وعده ووفى بعهده ، فلما تبين له أنه عدو ☐ تبرأ منه ، فكان محل التأسي في إبراهيم في هذا التبرؤ من أبيه ، لما تبين له أنه عدو ☐ . .

وقد جاء ما يدل على أنها قضية عامة وليست خاصة في إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى : { مَا كَانَ لَلنَّبِيِّ سُّ وَالنَّبِيِّنَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لَهُمْ أَوْ لَهُمْ شُرَكَائِنَ وَلَا يُؤْمَرُونَ بِأَن يُعْبَدُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَإِن يَمُنُوا بِآيَاتِنَا لَنَنصِرَنَّ لَهُمَ لِمَا هُمْ بِعَاصِينَ } وفي هذه الآية وما قبلها أقوى دليل على أن دين الإسلام ليست فيه تبعية أحد لأحد ، بل كل نفس بما كسبت رهينة ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . .

ومن عجب أن يأتي نظير موقف إبراهيم من أبيه مواقف مماثلة في أمم متعددة ، منها موقف نوح عليه السلام من ابنه لما قال { رَبِّ إِنِّي ابْنُكِ مِن نَّوْحٍ وَإِنِّي نَذَرْتُكَ وَإِنِّي نَذَرْتُكَ وَإِنِّي نَذَرْتُكَ } فلما تبين له أمره أيضاً من قوله تعالى : { يَا نُوحُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ نَبِيًّا وَوَضَعْنَاكَ بِالْأَيْمَنِ وَإِنَّا جَعَلْنَاكَ نَبِيًّا وَوَضَعْنَاكَ بِالْأَيْمَنِ وَإِنَّا جَعَلْنَاكَ نَبِيًّا وَوَضَعْنَاكَ بِالْأَيْمَنِ } { قَالَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُكَ وَإِنِّي نَذَرْتُكَ } فكان موقف نوح من ولده كموقف إبراهيم من أبيه . .

ومنها موقف نوح ولوط من أزواجهما في قوله تعالى : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ زُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْهِ مِن مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمَّ يُغْتَابِنَا وَعَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } . .

ومنها موقف زوجة فرعون من فرعون في قوله تعالى : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ

بَيِّنَاتٍ فِي الْغَنَابَةِ وَنَجَّيْنِي مِنَ الْغَمِّ وَنَجَّيْنِي مِنَ الْغَمِّ وَنَجَّيْنِي مِنَ الْغَمِّ
الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ { فتبرأت الزوجة من زوجها ، وهذا التأسى قد بين تمام البيان
معنى قوله تعالى : { لَنْ نَنْفَعَكَ كُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ } أي ولا آباؤكم
ولا أحد من أقربائكم ، يوم القيامة يفصل بينكم ، وقول إبراهيم لأبيه { وَمَا أَمْلِكُ
لَكَ مِنَ اللَّهِ